

نظام متعارف عليه قبل الإسلام وكان شائعاً أيضاً عند الفرس

# تجارة الرقيق في الخليج. سوق الموت والحياة



بقلم:

عبد الجبار السامرائي

الحديث

إلى المساواة ولا تزال ولايات تفرق بين البيض والسود تفرقة تنكرها الإنسانية.

ودرج الكثير من الباحثين الغربيين إلى مقارنة تجارة الرقيق التي كانت سائدة في غرب أفريقيا بتلك التي كانت في شرقها وخطوا عمداً بينها وبين الرق في الإسلام وزعموا أن الإسلام يبيح الرق وأنه أفسح المجال للتجارة فيه باعتباره حقاً من الحقوق الدينية وأن المجتمعات الشرقية الإسلامية قد أقرته وعدته جزءاً لا يتجزأ من تقاليدنا ونظمنا وبنيتها الاجتماعية.

ولاشك أن هذا الخط المتعمد بين تجارة الرقيق في أفريقيا والرق في الإسلام يهدف إلى الإساءة للإسلام والمسلمين وإلى التشويه المتعمد لتاريخ العرب المسلمين في أفريقيا والنيل من العلاقات العربية - الأفريقية. وقد سار على نهج هؤلاء الباحثين الغربيين بعض الباحثين العرب.

مصدر تجارة الرقيق ومسارها

تعد أفريقيا الشرقية المصدر الرئيس لتجارة الرقيق في الخليج العربي الذي يعد المعبر الأساس لتلك التجارة إلى أسواق المناطق الشرقية من شبه الجزيرة العربية والعراق وإيران والهند. وأرجعت المصادر التاريخية المتداولة ظهور وازدهار تجارة الرقيق في شرق أفريقيا والخليج العربي إلى استيلاء العمانيين على زنجبار وجزيرة «بمبا» Pemba أو الجزيرة الخضراء في أواخر القرن السابع عشر الميلادي إذ تحولت زنجبار تحت حكم

اليعاربة ومن بعدهم آل بوسعيد إلى سوق للعبيد وأصبحت في أيام سيد سعيد بن سلطان أكبر مركز لتجارة الرقيق في الشرق. وكانت هناك خطوط منتظمة من قوافل العرب التجارية التي تربط



• وثيقة لبيع جارية

بين الساحل والداخل فتصل إلى جهات بعيدة من قلب القارة الأفريقية كالبحيرات الاستوائية. وكثيراً ما كان المغامرون من التجار العرب يتجاوزون تلك المناطق فيصلون إلى الأجزاء العليا من نهر الكونغو

والنيل وسط الغابات الكثيفة وفي ظروف مناخية وطبيعية شاقة بحثاً عن الرقيق والذهب والعاج. وتمكن التجار العرب من بسط سيطرتهم الاقتصادية على منطقة البحيرات الاستوائية واعتمدوا على القبائل الأفريقية في نقل العاج إلى الساحل كما كان شيوخ القبائل لاسيما «البانتو» يبيعون أسراهم من أفراد القبائل التي يغيرون عليها للتجار العرب على سبيل التبادل التجاري وكانت بعض القبائل الأفريقية تعاقب أفرادها الذين يرتكبون جرماً كبيراً خلافاً لأعرافهم القبلية بالاسترقاق.

وأجمعت المصادر التاريخية على أن جلب الرقيق إلى زنجبار وغيرها من المناطق الساحلية الشرقية كان يتم من ضفاف البحيرات الاستوائية في شرق القارة الأفريقية عبر ثلاث طرق رئيسية:

١ - الطريق الأول: يمتد من «كلوة» على الساحل الجنوبي من زنجبار عن طريق نهر «دوقوما» إلى «كرال متاكا» ومنها إلى بحيرة «نياسا».

٢ - الطريق الثاني: يمتد من «باجاموير» إلى «نيسيساكي» و«بنورا» ومنها غرباً في اتجاه «أوزينجا» و«أوجيجي».

٣ - الطريق الثالث: يمتد من ساحل «تانجا» إلى جبال «كليمنجارو» ومنها إلى بلاد «مسا».

وبعد جلب العبيد من المناطق الداخلية إلى المناطق الساحلية في

شرق أفريقيا يتم شحنهم بالسفن إلى زنجبار لبيعهم هناك. وكان يوجد في شرق أفريقيا مركزان هامين لتجارة الرقيق هما «كلوه» و«زنجبار». وتعد كلوه الميناء الرئيس لاستيرادهم من داخل القارة الأفريقية وكانت تقام أسواق كبيرة لبيع وشراء الرقيق في تلك المدينتين.

ومع انطلاق واشتداد رياح المحيط الهندي التجارية الموسمية الشمالية الشرقية تبدأ السفن العربية ذات الشراع المفرد الثلاثي الشكل «المعروفة بـ«الداو» Dhow وغيرها من السفن الهندية الوصول من سواحل الهند وشواطئ الجزيرة العربية والخليج العربي إلى زنجبار وسواحل أفريقيا الشرقية وكثيراً ما كانت تلك السفن تكون محملة بالتمور المجلوبة من البصرة والبحرين لبيعها في شرق أفريقيا وشراء العبيد بأثمانها.

وبعد بضعة أشهر يقضيها التجار في جلب وشراء الرقيق والبضائع كالذهب والعاج من داخل أفريقيا تبدأ الرياح الجنوبية الغربية بالهبوب فتدفع بتلك السفن مرة أخرى إلى سواحل الهند وشواطئ الجزيرة العربية والخليج العربي. وقد انتفع البحارة والتجار العرب والهنود كثيراً من هبوب تلك الرياح الموسمية التي كانت عاملاً رئيساً في تنشيط التجارة آنذاك بين الهند والجزيرة العربية من جهة وسواحل أفريقيا الشرقية من جهة أخرى.